

هزيمة حزيران/ يونيو 1967 وإسهامها في إعادة بعث "القوى السياسية المقاومة" في "الضفة الغربية"

بلال محمد شلش

يا أيها الموتى أفيقوا: إن عهد الموت زال
ولتحملوا البركان تقذفه لنا حمر الجبال
هذا هو اليوم الذي قد حددته لنا الحياة¹

مع حلول حزيران/ يونيو 1967، كانت أرض "الضفة الغربية" مجردة من أي بنى تنظيمية لقوى سياسية فاعلة، يمكنها أخذ زمام المبادرة والتصدي لأي عدوان مرتقب. فضلاً عن إطلاق فعل -فوري- مقاوم للاحتلال الصهيوني بعد الهزيمة. إذ عانت القوى السياسية المعارضة في "الضفة الغربية" منذ نيسان/ أبريل 1957 من حملات أمنية أردنية متلاحقة، فككت بُنيّتها التنظيمية، وعانت القوى السياسية الناشئة فيما بعد - كحركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح" - ذات المعاناة.

لكن تبع هزيمة حزيران/ يونيو 1967 انطلاق مقاومة مسلحة فورية في "الضفة الغربية" تتنافى وواقع قواها السياسية. فهل يمكن الافتراض بأن بعث المقاومة المسلحة في "الضفة" ونشاطها خلال السنوات التالية (1967-1970) جاء في جزء منه انعكاساً لحدث الهزيمة؟ الذي شكل "حقنة وريدية" أعادت بعث قوى الكفاح المسلح، إثر تحطم بنية الرقابة والسيطرة الأمنية التي فرضها النظام الأردني في "الضفة". وغياب أي بنية أمنية بديلة توفر، سيطرة تامة للاحتلال في شهوره الأولى.

تأتي هذه الورقة لدراسة دور الهزيمة هذا من خلال محورين أساسيين، الأول يناقش واقع القوى السياسية في "الضفة" قبل الحرب، والثاني يبحث انعكاس الهزيمة على واقع قوى الكفاح المسلح ومساهمتها

¹ من قصيدة: معين بسيسو. "المعركة". الأعمال الشعرية الكاملة. (عكا: دار الأسوار، 1988: 51-52)، ص51.

في إعادة بعثها، ونجاحها في تهيئة البيئة المناسبة لإطلاق فعل مقاوم فوري، من خلال تفكيكها للبنى الأمنية المسيطرة على "الضفة".

ولذلك تم العودة إلى مصادر أولية تضم وثائق عربية وأمريكية -خصوصًا في المحور الأول- وسير ومذكرات ومقابلات لعدد من الشخصيات الفلسطينية المساهمة في نشاط المقاومة في "الضفة الغربية" خلال (1967-1970)، بالإضافة لسلسلة اليوميات الفلسطينية خلال الأعوام (1965-1970)، وسلسلة الوثائق الفلسطينية العربية خلال ذات الفترة، ومجموعة أوراق عارف العارف (1967-1973).

واقع القوى السياسية في "الضفة الغربية" (1948-1967)

ما بين النكبة والضم: تشكل القوى السياسية في "الضفة الغربية" (1948-1957)
خضعت بقية فلسطين الوسطى التي فشلت المنظمات الصهيونية في احتلالها إثر حرب 1947-1949 لسيطرة المملكة الأردنية بعد انسحاب القوات العراقية والمصرية منها. وأعلنت المملكة ضمها لهذه البقية يوم 24 نيسان/ أبريل 1950، إثر خطوات تمهيدية استغلت مجريات الحرب ونتائجها، وحاجة السكان لمنفذ جغرافي اقتصادي جديد.²

² يُنظر: عصام سخيني. "ضم فلسطين الوسطى إلى شرقي الأردن 1948-1950". شؤون فلسطينية. ع. 40. (كانون الأول/ ديسمبر 1974: 56-82). ص57؛ جميل هلال. الضفة الغربية: التركيب الاجتماعي والاقتصادي. (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية: مركز الأبحاث 1974). ص32.

وكان هذا الضم منسجمًا مع المصالح الإسرائيلية والأمريكية فلم يعارض؛ يُنظر عن المصلحة الإسرائيلية في الضم: دافيد بن غوريون. يوميات الحرب 1947-1949. تحرير: غريشون ريفلين؛ إلعان أورن. ترجمة: سمير جبور. مراجعة وتقديم: صبري جريس. ط2. (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1998). ص754؛ وعن تطور الموقف الأمريكي باتجاه تأييد الضم يُنظر:

U.S. Dept. of State: Office of the Historian. *Foreign Relations of the United States 1948 Volume V The Near East, South Asia, and Africa*. John P. Glennon (Editor). (Washington: United States Government Printing Office, 1976). Part 2. pp. 1646-1648, 1667-1669, 1689, 1706-1707; U.S. Dept. of State: Office of the Historian. *Foreign Relations of the United States 1949 Volume VI The Near East, South Asia, and Africa*. John P. Glennon (Editor). (Washington: United States Government Printing Office, 1977). pp. 66, 170-171, 604, 608, 644, 657, 666, 682, 687-688, 737, 841, 853, 915, 932, 938, 989, 1000, 1037, 1078, 1081-1084, 1090, 1099; 1144, 1215, 1224,

شكل هذا الضم لأهل فلسطين عمومًا، ولأهل بقية فلسطين الوسطى -التي ستعرف أردنيًا بـ"الضفة الغربية"- أحد أبرز نتائج الهزيمة في الحرب، التي دمرت كل القوى التقليدية المسيطرة في فلسطين. لكنها شكلت في ذات الوقت فرصة لإعادة تشكيل القوى السياسية القديمة في "الضفة"، بمساعدة قوى أردنية ناشئة. وفتحت الباب لظهور قوى جديدة. بالإضافة لتساعد دور القوى "العابرة للحدود" فتساعد نفوذ الإخوان المسلمين في فلسطين. وبدأ حزب البعث العربي نشاطه ليكون خلال فترة قصيرة من قوى المعارضة الأكثر تأثيرًا. وتشكل الحزب الشيوعي الأردني وحزب التحرير الإسلامي وحركة القوميين العرب.

حاصر النظام القوى الفلسطينية المؤثرة مع سيطرته على أرض "الضفة الغربية" بانسحاب القوات المصرية ثم العراقية.³ فأعلن حل جيش الجهاد المقدس الذي تشكل قبل اندلاع الحرب بقليل، كقوة فلسطينية تأتمر بأمر الهيئة العربية العليا. واحتل مقره قيادته في بيرزيت يوم 18 كانون الثاني/يناير 1949. بعدما مهدت لذلك بعدد من الخطوات كحصار قواته ومصادرة بعض أسلحته، وشراء أسلحة السكان المحليين.⁴

كما لاحق النظام بقية عصبة التحرر الوطني، ورغم تغييرها سياستها وإقرارها الضمني بالضم بتشكيل الحزب الشيوعي الأردني بقي النظام على حربه مع الحزب.⁵ ورفع من سقف المواجهة بإقرار مجلس

1247, 1290, 1346, 1377-1378, 1426-1427, 1448-1449, 1451-1452, 1456-1459, 1462, 1486, 1503, 1511, 1514, 1526, 1558, 1579-1581.

وعن الموقف البريطاني من الضم يُنظر:

J. Priestland (Editor). *Near & Middle East Titles: Records of Jordan 1919-1965*. (London: Cambridge Archive Editions, 1996). Vol. 6, pp. 289- 330.

³ يُنظر: عارف العارف، النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود. تقديم: وليد الخالدي. (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2012). مج. 2. ص 277-278؛ محمد حسنين هيكل، العروش والجيش (2) أزمة العروش صدمة الجيوش. الأعمال الكاملة لمحمد حسنين هيكل. القاهرة: (دار الشروق للنشر والتوزيع، 2009). ص 219-220؛ 244؛ 288؛ 301-302؛ 474.

⁴ بهجت أبو غربية. في خضم النضال العربي الفلسطيني: مذكرات المناضل بهجت أبو غربية 1916-1949. (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1993). ص 384؛ عبد الله التل. كارثة فلسطين مذكرات عبد الله التل قائد معركة القدس. (كفر قرع [فلسطين]: دار الهدى، 1990). ص 232؛ ص 359-366؛ هيكل، العروش والجيش (2). ص 302-303؛ العارف، النكبة. مج. 2. ص 279-281.

⁵ يتضح من سير بقية العصبة المنشورة أن ملاحقة كوادر العصبة كانت أحد المشاغل الرئيسية للجيوش العربية، المصرية والأردنية التي أصدرت قرار عسكري بحل العصبة ومؤتمر العمال العرب ورابطة المثقفين العرب؛ ولعل موقف بقية العصبة من قرار التقسيم ثم سعيهم لإقامة كيان

النواب الثاني لقانون يقضي بسرّيان أحكام قانون مقاومة الشيوعية رقم (17) لسنة 1948 على الصّفة الغربيّة.⁶ ثم باستحداث مجلس النواب الثالث للقانون رقم (91) لسنة 1953.⁷ وبالإضافة لهذه القوى سعى النظام لإفشال المحاولات الرامية لتأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي⁸ وحزب التحرير الإسلامي،⁹ وعمل خلال فترة الخمسينيات على ملاحقة كوادرهما بأشكال مختلفة.

رغم هذه المحاصرة والعداء الذي تخلله لحظات استثناء عابرة، إلا أن جل القوى السياسية شكلت معارضة حيوية للنظام وللسلطات الاستعمارية البريطانية. وقادت حراكاً شعبياً للانتفاض على المستعمر البريطاني، وضد رغبته في إلحاق المملكة في حلف بغداد.¹⁰ استغله الملك حسين بن طلال (1935-

فلسطيني على بقية فلسطين كان العامل الأبرز في هذه الملاحقة. عن القرار بحل العصبة: عودة الأشهب. تنكرات عودة الأشهب. تقديم: عبد الرحيم مدور. إشراف: سليمان ربيضي. (بيروت: جامعة بيرزيت، 1999). ص126؛ ولنماذج تعامل الأجهزة الأمنية المصرية والأردنية مع بقية العصبة يُنظر: عبد العزيز العطّي. رحلة العمر من شاطئ غزة إلى صحراء الجفر. (عمان: نشر خاص، 2012). ص37-39؛ 55-56؛ 79-81؛ الأشهب. تنكرات. ص134-152.

⁶ يُنظر: "قانون رقم (25) لسنة 1950 قانون مقاومة الشيوعية". الجريدة الرسمية الأردنية. ع 1033. 2. ايلول/ سبتمبر 1950. ص468-469؛ "قانون رقم (17) لسنة 1948 قانون مقاومة الشيوعية". الجريدة الرسمية الأردنية. ع 945. 16 أيار/ مايو 1948. ص181؛ وقبل سن هذا القانون حوكم كوادر العصبة الذين اعتقلتهم السلطات الأردنية بموجب الأحكام والقوانين الانتدابية، والتي كانت أحكامها مخففة بالمقارنة مع أحكام القانون الأردني، وتعطي معاملة خاصة للمعتقل: يُنظر نموذجاً على الاعتقال والحكم وفقاً لهذه الأحكام يُنظر: نعيم الأشهب. دروب الالم دروب الأمل سيرة ذاتية. (رام الله: دار التنوير للنشر والترجمة والتوزيع؛ دار البيرق العربي للنشر والتوزيع، 2009). ص68-69؛ العطّي. رحلة العمر. ص81-89؛ مقارناً مع الاعتقال والحكم وفقاً للقانون الجديد في: العطّي. رحلة العمر. ص105-115؛ فائق ورا.د. مذكرات فائق ورا.د: خمسون عاما من النضال. تحرير: أحمد رفيق عوض، سميح شبيب. (رام الله: منشورات حزب الشعب الفلسطيني، 2005). ص76-88.

⁷ يُنظر: "قانون رقم (91) لسنة 1953 قانون مقاومة الشيوعية لسنة 1953". الجريدة الرسمية الأردنية. ع 1164. 16 كانون الأول/ ديسمبر 1953. ص386-387. وهو القانون الذي أقر بعد معارضة حادة من قبل نواب المعارضة وعلى رأسهم عبد الله الريماوي وعبد الله نعواس وعبد القادر الصالح، يُنظر: محاضر مجلس الأمة الأردني. 1 كانون الأول/ ديسمبر 1953. ص40-45.

⁸ بهجت أبو غربية. من مذكرات المناضل بهجت أبو غربية: من النكبة إلى الانتفاضة (1949-2000). (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004) ص19-70؛ أسماء جاد الخصاونة. "حزب البعث العربي الاشتراكي في الأردن 1947-1957". أطروحة ماجستير. إشراف: وليد العريض. (اليرموك: كلية الآداب في جامعة اليرموك، 1999) ص34-35.

⁹ "بيان حزب التحرير المقدم للحكومة الأردنية بتاريخ 19 رمضان سنة 1372 الموافق 1 حزيران 1953". بيان صادر عن حزب التحرير. بتاريخ 1 حزيران/ يونيو 1953. ص3؛ "بيان هام صادر عن مراقب المطبوعات". جريدة الجزيرة [عمان]. ع. 2091. 22 آذار/ مارس 1953.

¹⁰ عن مظاهرات حلف بغداد يُنظر وصف الحوادث فيما كتبه السفير الأمريكي في عمان بتاريخ 18 كانون الأول/ ديسمبر 1955:

Telegram From the Embassy in Jordan to the Department of State, Amman, December 18, 1955—1 p.m.
Department of State, Central Files, 785.00/12-1855. Cited in: P. Glennon. *Foreign Relation of the United 1955-1957*. Vol. XIII, p10.

1999) لإحداث انقلاب جذري على الوجود البريطاني في المملكة في آذار/ مارس 1956، تبعته انتخابات برلمانية نزيهة -لأول مرة- أفرزت حكومة معارضة برئاسة سليمان النابلسي، سعت لقيادة المملكة نحو تحالفات جديدة ومسار سياسي جديد.¹¹

لكن الرغبة الملكية في قيادة البلاد للاندماج في الفلك الأمريكي، لم تكن منسجمة مع رغبات قوى المعارضة -التي كانت قوى "الضفة" نواتها الأساسية- فكان الانقلاب الملكي في نيسان/ أبريل 1957 الذي أدخل القوى السياسية في "الضفة" مرحلة جديدة لم تنته إلا بهزيمة حزيران/ يونيو 1967.

بين الرجوم: انهيار قوى الضفة الفلسطينية (1957-1967)

أنا مصلوب أغرد
ولعمّان ونابلس وإربد
وإلى الليل الصديق
صار بيتاً للمطار
لم يحب شباك طرقة كعب البندقية
وإلى شبّاك تائر
في جحيم "الجفر" مفتوح على أقواس نصر
وعلى فردوس فجر¹²

ويُنظر تقييمه للموقف بعد الحوادث وحديثه عن تراجع شعبية وهيبة الملك، مقابل ارتفاع شعبية العناصر القومية والمتطرفة، وتراجع ومهم وكبير في الموقف البريطاني في البلاد:

Telegram From the Embassy in Jordan to the Department of State, Amman, January 5, 1956—11 p.m., Department of State, Central Files, 785.00/1-556. Secret. Cited in: P. Glennon. *Foreign Relation of the United States, 1955-1957*. Vol. XIII, pp 12-15.

وعن الموقف المضطرب وتدخل الجيش لقمع المظاهرات وقرار هزاع المجالي باستقالة حكومته يُنظر: هزاع المجالي. مذكراتي. (عمان): [د، ن]، (1960). ص 164-175؛ غلوب باشا. مذكرات غلوب باشا، حياتي في المشرق العربي. ترجمة: جورج حتر؛ فؤاد فياض. (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2005). 283-285.

¹¹ ينظر: أحمد القضاة. "انتخابات تشرين الأول عام 1956م في الأردن وترأس الحزب الوطني الاشتراكي للحكومة". مجلة اتحاد الجامعات العربية للأدب. مج 7. ع 3. (2010: 395-438)؛ هاني الحوراني (إعداد). حكومة سليمان النابلسي (1956-1957). تحرير: محمود الريماوي؛ حسين أبو رمان. (عمان دار سندباد للنشر، 1999).

¹² من قصيدة: معين بسيسو. "الأردن على الصليب". الأعمال الشعرية الكاملة. (عكا: دار الأسوار، 1988: 119-121)، ص 119.

استغل الملك الحسين إجراء مناورة كانت تقوم بها أحد الفرق العسكرية يوم 8 نيسان/ أبريل 1957 لإطلاق انقلابه ضد قوى المعارضة وحكومتها، متحدثاً عن وجود انقلاب يخطط له بعض أركان الحكومة وقيادات عسكرية، فأجبر الحكومة على الاستقالة وشكل حكومة استثنائية بعدما أعلن الأحكام العرفية بموافقة وتأيد أمريكي.¹³

ترافق هذا مع حملة أمنية هي الأعنف، تأسست على معلومات جُمعت خلال مرحلة الانفتاح السياسي (آذار/ مارس 1956 - آذار/ مارس 1957) من جهاز الأمن الجديد الذي شكله الملك منتصف الخمسينيات.¹⁴ واستهدفت هذه الحملة كل كوادرات الأحزاب السياسية المعارضة وأنصارها التي فشلت في الحشد المضاد، فكان مصير قادتها وكادرتها إما السجن أو المطاردة أو اللجوء السياسي.¹⁵

بعد هذه الحملة التي دمرت معظم الهياكل التنظيمية للقوى السياسية الأبرز في "الضفة"، حاولت بعض هذه القوى أواخر العام 1957 التأسيس للقيام بـ"ثورة مسلحة" على النظام الأردني بدعم من بعض

¹³ عن المناورات العسكرية المقامة في 7-9 نيسان/ أبريل 1957 وحقيقتها يُنظر: نذير رشيد. مذكراتي حساب السرايا وحساب القرايا. (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2012). ص 76-77؛ ضافي الجمعاني. من الحزب إلى السجن 1948-1994 مذكرات. (بيروت: رياض الرئيس للكتب والنشر، 2007). ص 87-88؛ يُنظر وجهة نظر الملك في الأحداث في: الحسين بن طلال. ليس سهلاً أن تكون ملكاً سيرة ذاتية. ط. 2. ترجمة: هشام عبد الله. مراجعة: عواد علي. (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2009). ص 128-137؛ وتشير الوثائق الأمريكية إلى أن الملك استبق إعلان الأحكام العرفية بأخذ الموافقة الأردنية على دعم موقفه ومنع أي تدخل إسرائيلي يستغل التوتر، وهذا ما وافق عليه الرئيس الأمريكي: R. Jarman (Editor). *Foreign Relations of the United States, 1955-1957, Near East: Jordan-Yemen, Volume XIII*. (Washington: United States Government Printing Office, 1988), pp 103.

¹⁴ عن الدعم الأمريكي للملك في تأسيس جهازه الأمني الجديد، وهندسة انقلابه على المعارضة وحكومتها؛ ينظر: O'Connell, Jack. *King's Counsel: A Memoir of War, Espionage, and Diplomacy in the Middle East*. Vernon Loeb (Contributor). (London: W. W. Norton & Company, 2011), pp 5-7.

ويلاحظ من الأوراق التي صادرتها قوات الاحتلال الصهيوني من مقرات الأجهزة الأمنية الأردنية، أن هذه الأجهزة أعدت قوائم تفصيلية لكل الأحزاب السياسية المعارضة للنظام، أو التي من الممكن أن تشكل خطراً عليها، استغلت هذه القوائم للقيام بحملة الاعتقالات والتطهير التي شهدتها البلاد بعد الانقلاب الملكي، يُنظر عن هذه الوثائق في: افراهام سيلع. البعث الفلسطيني: حزب البعث العربي الاشتراكي في الضفة الغربية تحت حكم الأردن (1948-1967) [بالعبرية]. (القدس: ماجنس برس؛ الجامعة العبرية، 1984). ص 58-59؛ امنون كوهن. الأحزاب السياسية في الضفة الغربية تحت حكم النظام الأردني [بالعبرية]. (القدس: منشورات ماجنس - الجامعة العبرية، 1980). ملحق الوثائق.

¹⁵ لنماذج من التعامل القمعي مع المعارضة ينظر مثلاً: يعقوب زيادين. البدايات: سيرة ذاتية، أربعون سنة في الحركة الوطنية الأردنية. (بيروت: دار ابن خلدون، 1981). ص 91-127؛ الجمعاني. من الحزب. ص 118-155.

الدول العربية المعادية له. لكن الأجهزة الأمنية الأردنية أجهضت ذلك مبكراً.¹⁶ واستمرت الأجهزة الأمنية الأردنية في نشاطها ضد القوى السياسية المعارضة خلال فترة الستينيات في ظل تصاعد وتيرة الخلافات بين الأردن وعدد من الدول العربية، وفي ظل حالة الفوضى التي كانت تعيشها معظم الدول المجاورة.

لكن رغم هذه الحملات وحالة التجريف التي أحدثتها في "الضفة" إلا أن جماهير "الضفة" كانت في حالة تسييس متزايدة، دفعت القوى السياسية المنهارة للسعي الدائم لاستثمارها، وشكلت بيئة خصبة للقوى الفلسطينية الجديدة التي بدأت بنشاطها العلني منتصف الستينيات بالتزامن مع الإعلان عن تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية بقرار عربي رسمي.¹⁷ وتشير الشهادات المتوفرة عن هذه الفترة إلى سعي أبرز هذه القوى، حركة "فتح"، لتأسيس بنى تنظيمية قوية تمهيداً لإطلاق نشاطها في الأردن عمومًا، وفي "الضفة" خصوصًا، واعتبرت "فتح" الأردن ساحة انطلاقها الرئيسية، نظرًا لتواجد أكبر التجمعات الفلسطينية فيها.¹⁸

لكن النظام الأردني حافظ على سياسته القمعية ضد القوى السياسية المعارضة، قديمها وجديدها، فاستهدف "فتح" التي نادى بالشخصية المستقلة للشعب الفلسطيني صاحب الحق في تقرير مصيره وسيادته المطلقة على جميع أراضيه - وكان أول ضحايا هذا الاستهداف أحمد موسى إبراهيم، الذي قتل في 7 كانون

¹⁶ حول هذه المحاولة يُنظر: رواية لأحد اللاجئين إلى سوريا: محمود القاضي. شيء من الذاكرة. (دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر، 1995). ص 140-144؛ رواية أحد المساهمين في تهريب السلاح: فؤاد خرمة (إعداد وتحرير). مذكرات خضر العالم عشرون عامًا في سجون الطغاة. (إرام الله): [منشورات حزب الشعب الفلسطيني]، [2013]. ص 60-61؛ ورواية قائد العمل العسكري للحزب الشيوعي الأردني في الداخل: العطي. رحلة العمر. ص 136-137؛ ورواية البعث في: أبو غريبة. من مذكرات. ص 238-249؛ وينظر عن نشاط القوميين العرب العسكري ضد النظام: محمد جمال باروت. حركة القوميين العرب النشأة - التطور - المصائر. (دمشق: المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، 1997). ص 113.

¹⁷ ينظر كنموذج شهادة عبلة طه عن البيئة التي جندت فيها للنشاط في حركة القوميين العرب في 1959-1960: "مقابلة مع عبلة طه". مقابلة نشرت على موقع الثورة الفلسطينية. **learn Palestine**. أجريت في 2012؛ يمكن الاطلاع على نصها على: <https://goo.gl/ISYiG3> وينظر أيضا: "مشروع تسجيل وتوثيق تاريخ الثورة الفلسطينية: عثمان أبو غريبة". مقابلة أجراها يحيى يخلف ونشرت على فضائية فلسطين، 22 نيسان/ابريل 2016. <https://youtu.be/FFelUQgiTlc>.

¹⁸ "تقيض الاحتلال وبدل الوصاية الهاشمية". فلسطين الثورة. ع. 89. (الأربعاء 24 نيسان 1974:)، ص 9؛ وينظر: "الشيخ محمد أبو سردانة: بدء نشاط فتح في الاردن والانطلاقة الأولى". مقابلة مصورة نشرت على قناة الثورة الفلسطينية **Learn Palestine**؛ 14 أيلول/سبتمبر 2016: <https://youtu.be/AZvR2x-Un5M>؛ "سميح ابو كوكب: بدايات فتح في الاردن". مقابلة مصورة نشرت على قناة الثورة الفلسطينية **Learn Palestine**؛ 14 أيلول/سبتمبر 2016: <https://youtu.be/HOGbhnWJAKM>

الثاني/ يناير 1965 برصاص الأمن الأردني أثناء ملاحقتهم لمجموعة من "فتح" نفذت أول عمليات الحركة ضد الاحتلال.¹⁹

واصلت الأردن حملتها لتصفية وجود الحركة، ومنع نشاطها العسكري، باعتقال كوادرها أو بقتلهم. ويشير عبد الحميد القدسي، أحد كوادر فتح الأوائل، والذي اعتقل من الأمن الأردني أثناء نقله للسلاح من سوريا إلى القدس في كانون الأول/ ديسمبر 1966 إلى أنه عندما خرج من السجن صبيحة 5 حزيران/ يونيو 1967، خرج من سجون الأردن (السجن العسكري في الزرقاء، سجن الجفر، سجن المحطة) ما يقارب 400 معتقل، تهمتهم الانتماء إلى فتح.²⁰

وكانت "فتح" تهاجم النظام الأردني لنشاطه الأمني ضدها وتتهمه بالعمالة. فجاء مثلاً في بيان لـ"العاصفة" إثر قتل واعتقال عدد من مقاتلي الحركة صباح 22 يوليو/ تموز 1966 بعد تعقبهم من قبل المخابرات الأردنية، دعوة إلى "جماهير الشعب والأمة وضباط الجيش العربي الأردني وأفراد الحرس الوطني لإسقاط الحكم العميل في الأردن، الذي وصلت به الخيانة إلى حد تنسيق جهوده مع العدو لملاحقة قوات العاصفة".²¹ وفي تعليق فتح على العدوان الصهيوني على بلدة السموع شجبت "فتح" "حركة القمع والإرهاب والقتل التي مارسها الحكم العميل في الأردن ضد شعبنا في الضفة الغربية وضد فدائيتها الأبطال"، ودعت

¹⁹ "أول شهيد للثورة ولكن ليس أول جرائم الملك". فلسطين الثورة. ع. 74. (الأربعاء 9 كانون الثاني 1974: 10-11)؛

²⁰ "شهادة الاخ عبد الحميد القدسي الكادر القيادي في حركة فتح". شهادات عن تاريخ الثورة الفلسطينية، شهادات تاريخية للقادة والكوادر القيادية (الكتاب الثاني). (إعداد وإشراف عام): يحيى يخلف. (رام الله، حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)؛ مكتب الشؤون الفكرية والدراسات، 2009: 121-152). ص 125-126؛ وينظر أيضاً: "سميح أبو كويك: الإنطلاقة الأولى وتجربة السجن في الأردن". مقابلة مصورة نشرت على قناة الثورة الفلسطينية **Learn Palestine**؛ 14 أيلول/ سبتمبر 2016. <https://youtu.be/XJ6nrfLonV0>

²¹ أنيس صايغ (رئيس التحرير). اليوميات الفلسطينية المجلدان الرابع والخامس من 1966/7/1 إلى 1967/6/30. (بيروت: مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية، 1967). مج. 4-5. ص 51؛ وينظر تفاصيل المواجهة مع الأمن الأردني، وظروف نشاط "العاصفة" في الأردن: "شهادة الأخ الفريق نصر يوسف". شهادات عن تاريخ الثورة الفلسطينية، شهادات تاريخية للقادة والكوادر القيادية (الكتاب الثاني). (إعداد وإشراف عام): يحيى يخلف. (رام الله، حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)؛ مكتب الشؤون الفكرية والدراسات، 2009: 71-98). ص 74-77؛ وليم نصار. تغريبة بني فتح أربعون عاماً في متاهة فتاوية. (رام الله: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2005). ص 59-60.

إلى "رفض كل المبررات التي يسوقها زبانية عمان لضرب حركتنا وقتل فدائيتها وسجنهم وإرهابهم وتشريدهم لأحرار شعبنا".²²

كما استهدف النظام في منتصف العام 1966 بضربة أمنية كبيرة "القوميين العرب"، أدت لانهيار كامل البنية التنظيمية للحركة في الأردن.²³ تبعتها حملة إعلامية قادها مدير المخابرات العامة محمد رسول الكيلاني، اتهم فيها القوى المعارضة وقادتها كجورج حبش ووديع حداد بالعمالة لأجهزة استخبارات أجنبية.²⁴ ومع انطلاق عمليات "أبطال العودة" التي تشكلت من كوادر حركة القوميين العرب بقرار جيش التحرير الفلسطيني التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية،²⁵ كان السجن العسكري الأردني بانتظار كوادر التنظيم بعد

²² بيان سياسي لحركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح" حول الأحداث الدامية التي شهدتها المنطقة العربية داخل الأرض المحتلة وخارجها 10 كانون الأول/ ديسمبر 1966. الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1966. جمع وتحرير: منذر فائق عنباتوي. (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1967: 653-656). ص 654.

²³ يُنظر كنموذج عن الحملة الأمنية الأردنية ضد حركة القوميين العرب: "مقابلة مع حمدي مطر". مقابلة نشرت على موقع الثورة الفلسطينية. **learn Palestine** أجريت المقابلة في 2012؛ يمكن الاطلاع على نصها على: <https://goo.gl/lzeTzn> غازي الخليلي. من أوراق العمر. (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2011). ص 173-176.

²⁴ ينظر نص المؤتمر الصحفي للكيلاني في: "مخططات حركة القوميين العرب، قادة الحركة في الأردن يدلون بتصريحات خطيرة حول أهدافها". المنار. 6 تموز/ يوليو 1966. ص 1؛ ص 5؛ وفي النص أيضًا استجواب لصبحي غوشة وأحمد العسوس من قادة القوميين العرب؛ وينظر استكمال استجواب القيادات في: "نصائح هامة من قادة حركة القوميين العرب". تموز/ يوليو 1966. ص 1؛ ص 5؛ "أقوال مثيرة للقوميين العرب تكشف الخطط التخريبية للحركة بالأردن والأقطار العربية". المنار. 8 تموز/ يوليو 1966. ص 1؛ ص 5.

²⁵ يشير صلاح صلاح القيادي في فرع فلسطين بحركة القوميين العرب إلى أن تنظيم أبطال العودة تأسس بقرار من قائد جيش التحرير الفلسطيني وجيه مدني كتشكيل فدائي، وأوكلت قيادة التنظيم إلى كوادر في القوميين العرب أو إلى مقربين منها، فساد واقع عملي يوحي بأن التنظيم تَوّام لشباب الثأر الفرع العسكري للقوميين العرب: صلاح صلاح. من ضفاف البحيرة إلى رحاب الثورة. (بيروت: دار الفارابي، 2016). ص 176-177؛ وتظهر مذكرات صبحي الجابي معاون قائد جيش التحرير الفلسطيني للعمل الفدائي منذ أيار/ مايو 1967 قرار منظمة التحرير بمساعدة العاصفة وشباب الثأر والجهة الشعبية لتحرير فلسطين (أحمد جبريل)، وتشير لمسؤولية الجيش عن أبطال العودة قبل وبعد حزيران/ يونيو 1967، ينظر مثلاً: صبحي الجبالي. مذكرات أول رئيس أركان لجيش التحرير الفلسطيني. (دمشق: منشورات العصر الحديث؛ بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 2007). ص 135، 177.

عودتهم من العمليات العسكرية إلى "الضفة" كما حدث في كانون الأول/ ديسمبر 1966.²⁶ وسعى "أبطال العودة" للرد على الحملة الإعلامية الأردنية ضد القوميين العرب، من ذلك ما جاء في بلاغهم الثالث:

"إن سلطات الأرباب التي تزج بكم في السجون والتي جعلت من الأردن كله سجنًا كبيرًا قد كشفت نفسها وأزاحت القناع نهائيًا عن خيانتها البشعة. لقد تبين الآن السبب الحقيقي وراء حملات البطش بالمواطنين بالأردن".²⁷

خلاصة القول إن "الضفة" الغربية -عمومًا- كانت تخضع خلال الفترة 1957-1967، لسيطرة أمنية أردنية شديدة، كانت بالمرصاد لأي حراك يسعى لتأسيس قوى سياسية أو عسكرية فلسطينية معارضة. ورأى النظام الأردني في هذه القوى التي اتهمته بالخيانة والعمالة خطرًا على وجوده، خصوصًا في ظل عداء بعض الدول العربية للأردن، ودعمها للقوى المعارضة له. وشمل هذا العداء أيضًا منظمة التحرير الفلسطينية وأذرعها المختلفة، فبعد فترة وجيزة من تأسيس المنظمة تخللتها علاقات رمادية بين الأردن والمنظمة، أعلن النظام عداءه للمنظمة وطلب من جامعة الدول العربية حظر نشاطها لاتهامها بدعم حوادث تخريبية ضد الدولة.²⁸

²⁶ ينظر بيان "أبطال العودة" الذي يصف السلطات الأردنية بسلطات الخيانة: "بلاغ رقم 2- صادر عن القيادة العامة لمنظمة أبطال العودة". الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1966. جمع وتحرير: منذر فائق عنباتوي. (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1967: 690-691).

²⁷ "البلاغ رقم 3- الصادر عن القيادة العامة لمنظمة أبطال العودة كانون الثاني 1967". الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1967. جمع وتصنيف: جورج خوري نصر الله. (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1969: 32-31). ص 31.

²⁸ صايب (محرر). اليوميات الفلسطينية. مج. 4-5. ص 19؛ واليوميات الفلسطينية زاخرة بالأخبار اليومية التي تظهر هذا الخلاف؛ وللاطلاع على ملخص لهذه الخلافات يمكن مطالعة: "خطاب الملك حسين في عجلون 1966/6/14". الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1966. ص 261-267؛ مقارنًا ب: "رسالة وجهها السيد أحمد الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية إلى الشعب والجيش في الأردن بمناسبة عيد الفطر 1967/1/12". الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1967. ص 6-10.

هذه الخلاصة تدفع للافتراض إلى أن احتلال "الضفة" إثر هزيمة حزيران/ يونيو 1967، حل في أرض مجردة من أي بنى تنظيمية مؤهلة لبعث مقاومة سريعة ضد الاحتلال، وبالتالي تأخر المقاومة إلى حين، فهل هذا ما حدث؟!

"حفرنا طريقنا في الرجوم": الهزيمة وإعادة بعث القوى السياسية

بلع الحوت القمر
يوم كانت زاهرات النجوم
في إجازة
بلع الحوت القمر
وأحال السماء
مأتما أو مغاظة
فخلعنا سماءنا والقمر
واخترعنا سماءنا والقمر
وحفرنا طريقنا في الرجوم
في براري الحجر
ودفنا الجناز²⁹

يظهر تحليل بعض المواد الأولية وجود مقاومة فاعلة في "الضفة الغربية" خلال (حزيران/ يونيو 1967 ولغاية أيلول/ سبتمبر 1970) بالمقارنة مع بقية فلسطين، في مؤشر على توفر بنى تنظيمية فاعلة في "الضفة"، بخلاف المتوقع!

أبرز هذه المواد الأولية تفاصيل الأسرى الفلسطينيين المحكوم عليهم في السجون الصهيونية لنشاطهم في العمل المقاوم.³⁰ إذ إن الاحتلال قام بسلسلة إجراءات قمعية لمواجهة المقاومة، كان أبرزها حملات الاعتقال المتواصلة.³¹ ويؤشر ارتفاع عدد الأسرى في منطقة ما –غالبًا– إلى شدة المقاومة فيها.

²⁹ من قصيدة "قمریات": سلمی الخضراء الجیوسی. "قمریات". شؤون فلسطينية. ع. 1. (أذار/ مارس 1971: 110-111). ص 111.

تشير بيانات سنوات (1967-1972) إلى صدور أحكام بالسجن على 1678 أسيراً لنشاطهم في المقاومة الفلسطينية المسلحة، منهم 1598 أسيراً و80 أسيرة. صدرت في حق 295 منهم أحكام بالسجن لأكثر من عشر سنين، و185 صدرت بحقهم أحكام بالسجن مدى الحياة منهم 4 أسيرات، و1198 صدرت ضدهم أحكام دون عشر سنين. وتظهر هذه البيانات أن "الضفة الغربية" قدمت 864 أسيراً، من عموم الأسرى توزعوا على مناطق نابلس، جنين، طولكرم، قلقيلية 503 أسير، جبل الخليل 183، القدس وقراها 118، ورام الله وقراها 47، وبيت لحم وقراها 13 أسيراً.³²

وبالإضافة لحجم الأسرى كمؤشر على حجم المقاومة، يلاحظ المؤرخ عارف العارف بالاعتماد على ملاحظاته اليومية، أن الاحتلال كان يعتمد إلى "الإبعاد" من المناطق المحتلة إلى الدول العربية المجاورة خصوصاً الأردن، كلما اشتدت المقاومة، وكان عدد المبعدين يرتفع أو ينخفض بارتفاع نسبة المقاومة أو انخفاضها. ويحصى العارف بالاستناد إلى أرقام رسمية حصل عليها من الجهات المختصة في الأردن وجود

³⁰ رغم تسجيل اليوميات الفلسطينية التي أصدرها مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، والوثائق الفلسطينية العربية التي أصدرتها مؤسسة الدراسات الفلسطينية لكل البيانات والأخبار المتعلقة بعمليات المقاومة، إلا أنه لا يمكن الخروج بإحصائية دقيقة لهذا النشاط نظراً لعدم دقة بيانات معظم الفصائل والتي كانت تطفح بالمبالغة، وكذلك لعدم دقة البيانات الصهيونية لمراعاتها حاجات ورغبات الأجهزة الأمنية الصهيونية؛ كما أن المواد المستخرجة من هذه المصادر الأولية مجملة ولا تعطي التفاصيل الكافية التي تسمح بفحص دقيق لدور كادر "الضفة الغربية" في المقاومة؛ لهذا تم العودة إلى بيانات أخرى كتفاصيل الأسرى المقاومين، والمبعدين.

³¹ بالإضافة للقتل والاعتقال والمطاردة والإبعاد، شهدت الضفة الغربية سلسلة من الإجراءات القمعية كهدم منازل المتهمين بأعمال مقاومة، وتهجير سكان عدد من المناطق التي اعتبرت مناطق عسكرية ك(قرى اللطرون، قلقيلية، المنطقة المحاذية لنهر الأردن، الجيفتلك)، وفرض منع التجول. عن هذه الإجراءات ينظر: مراسلة شؤون فلسطينية في الأرض المحتلة. "تقريران عن الأوضاع في الضفة الغربية المحتلة في السنتين الأوليين للاحتلال". شؤون فلسطينية. ع. 10. (حزيران/ يونيو 1972: 140-159). ص140-141؛ أوراق عارف العارف: المجموعة الثالثة الدور الفلسطينية التي هدمها الإسرائيليون 1967-1972. (بيروت: مركز الأبحاث- منظمة التحرير الفلسطينية، 1973).

³² استمدت هذه البيانات من إحصاء قام به المؤرخ عارف العارف، فصل أيضاً الأنشطة التي التهم بها الأسرى، وتفاصيل أحكامهم وانتماياتهم واعتقالهم: عارف العارف. أوراق عارف العارف: المجموعة الأولى، الفلسطينيون في سجون إسرائيل 1967-1972. (بيروت: مركز الأبحاث- منظمة التحرير الفلسطينية، 1973). ص74؛ وينظر توضيح العارف لتفاصيل عمله ودقته. ص75.

1448 مبعدا خلال السنوات 1967-1972، استطاع العارف حصر مناطق 1344 مبعدا، كان نصيب

الضفة الغربية منهم 733 فيما توزعت البقية على قطاع غزة ومخيماته والمناطق المحتلة عام 1948.³³

تظهر الشهادات المتوفرة عن هذه الفترة أن القوى السياسية الفلسطينية بدأت بالسعي الفوري لإعادة تشكيل بناها التنظيمية المنهارة بفعل سطوة الأجهزة الأمنية الأردنية، خصوصاً القوى السياسية التي نشطت قبيل الحرب في المقاومة المسلحة ضد الاحتلال كحركة القوميين العرب و"فتح"، مستغلة حالة الفراغ الأمني التي شهدتها "الضفة الغربية"، وكذلك الرخاوة الأمنية التي شهدتها "الضفة الشرقية".

بعد انطلاقة الحرب صباح الخامس من حزيران/ يونيو 1967 على الجبهة الأردنية، انهارت سطوة الأمن الأردني ضد القوى السياسية، وقررت السلطات الأردنية إطلاق سراح المعتقلين السياسيين، خصوصاً أسرى "فتح" و"القوميين العرب"، وطلبت منهم حمل السلاح والتوجه للقتال في "الضفة" والمساهمة في منع سقوطها، لكن آنذاك كانت معظم "الضفة" قد سقطت.³⁴

بدأت النشاطات الفعلية لترميم البنى التنظيمية القديمة، وتأسيس بنى جديدة في "الضفة الغربية" خلال الأيام الأولى من الهزيمة، واتخذت مسارات مختلفة التقت في النهاية لتتجح في إعادة بعث بُنى وتشكيلات قوى سياسية، قامت بإطلاق المقاومة المسلحة ضد الاحتلال في "الضفة"، واستمرت في المقاومة إلى أن نجح الاحتلال في محاصرتها لأسباب مختلفة منها ما هو متعلق بطبيعة هذه البنى وطريقة نشاطها، كإهمالها للسرية، وضعف الخبرة، ومنها ما هو مرتبط ببداية ترسخ منظومة أمنية جديدة طورها الاحتلال مع

³³ عارف العارف. أوراق عارف العارف: المجموعة الثانية، الفلسطينيون المبعدون عن بلادهم 1967-1976. (بيروت: مركز الأبحاث- منظمة التحرير الفلسطينية، 1973). ص378-379.

³⁴ يمكن متابعة يوميات الحرب من مصادرها المختلفة، وملاحظة التباين في الروايات المختلفة وحجم التضليل في البيانات الرسمية العربية والإسرائيلية بالعودة إلى: أنيس صايغ (رئيس التحرير). اليوميات الفلسطينية، المجلدان الرابع والخامس من 1966/7/1 إلى 1967/6/30. (بيروت: مركز الأبحاث- منظمة التحرير الفلسطينية، 1967). ص528-623؛ ويمكن مطالعة رواية أحد القادة العسكريين في الجيش الأردني: سعيد مراغة. فلسطين قضية حياتي ذكرياتي وتجاري في الثورة الفلسطينية. (دمشق: دار الرواد للنشر والتوزيع، 2006). ص70-82؛ ورواية محافظ القدس: أنور الخطيب التميمي. مع صلاح الدين في القدس تأملات وذكريات. (القدس: دار الطباعة العربية، 1989). ص47-54.

مرور الوقت، استفادت من قاعدة بيانات المنظومة الأمنية الأردنية، ومنها ما هو مرتبط بظروف المقاومة الفلسطينية خارج الأراضي المحتلة، كخروجها من الأردن إثر هزيمتها في معارك أيلول/سبتمبر 1970.³⁵

أبرز هذه المسارات كان نشاط الكوادر المفرج عنهم من السجون الأردنية، إذ سعى عدد منهم للعودة للضفة الغربية، لإعادة بعث البنى التنظيمية، وتأسيس بُنى جديدة، مدركين غياب سطوة الأمن عن "الضفة"، ومستبقين تأسيس الاحتلال لآليات ضبط للتعامل مع الأرض والناس. وساعين لتوفير بارقة أمل تخرج الناس من الإحباط وآثار الهزيمة.³⁶ إذ أن الهزيمة كانت حدثاً فارقاً ومفاجئاً وأحدثت تغييراً جوهرياً في مصائر العشرات من الشباب، كان أحدهم الشيخ محمد أبو طير، الذي كتب:

"بعد أن وضعت الحرب أوزارها، بقي الناس في حالة ذهول لما أصابهم وحلّ بهم [...] إذ جاءت حرب 1967، وما كنت أتوقعها؛ لأنني كنت أتشوق لتحرير فلسطين التي احتلها الصهاينة سنة 1948، كنت على ثقة بأن العرب في طريقهم إلى تحرير فلسطين، وأن زخوفهم آتية كالطوفان، وكنت أتوقع وأتحرق على الذي دهى أهلنا سنة 1948، وأنظر إلى مغتصبة رمات راحيل، المجاورة لبلدة صور باهر، والتي أقيمت على أرض بيت صفافا وصور باهر، وأردد ما يغنيه فريد الأطرش (لمن أحبها) وما طالها: "قدام عينيا، وبعيد عليا، مقسوم لغيري، وهو ليّاً".³⁷

³⁵ ينظر قراءة تقييمية لذلك في: يزيد صايغ. رفض الهزيمة بدايات العمل المسلح في الضفة والقطاع 1967. (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1992)، ص 25-27.

³⁶ يخلف. شهادة عبد الحميد القدسي. ص 127.

³⁷ بلال محمد (تحرير). سيدي عُمر ذكريات الشيخ محمد أبو طير في المقاومة وثلاثين عاماً من الاعتقال). بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، [قيد النشر ومن المتوقع صدوره منتصف أيار/ مايو 2017]، ص 26؛ وينظر كنموذج آخر شهادة عبد الفتاح حمائل: رولا

من هؤلاء عبد الحميد القدسي، -الذي خرج من السجن أول أيام الحرب- حيث تسلل إلى "الضفة الغربية" يوم 9 حزيران/ يونيو، وخلال ذلك نظم عدد من الاجتماعات مع الكثير من كوادر التنظيم، لإعداد مجموعات من الشباب في معظم مناطق "الضفة"، ومن ثم تحضير أماكن لاستقبالهم. وتم كذلك البدء بتجنيد الشباب للتدريب استعدادًا لإخراجهم من الأرض المحتلة إلى معسكر الهامة بالقرب من دمشق،³⁸ مستغلين في ذهابهم وعودتهم ضعف الضبط والسيطرة على النقاط الحدودية بين الأردن وسوريا، وبين الأردن والأراضي المحتلة.³⁹ غادر القدسي "الضفة" نحو دمشق، حيث واصل نشاطه في الإعداد والتجهيز استعدادًا للعودة مرة أخرى مع دورية لقيادات تنظيمية على رأسها ياسر عرفات.

نشاط القدسي لم يكن متفردًا فشاركه أسرى محررون آخرون كنصري محمد موسى (رباح) الذي نشط في صفوف العمل الفدائي واعتقل لنشاطه في السجون الأردنية وأطلق سراحه مع القدسي. توجه نصري إلى "الضفة" لبدأ نشاطه في التنظيم والتدريب، ومع حلول شهر آب/ أغسطس 1967 كان نصري مسؤولاً عن عشرات المتدربين في منطقة قباطية بالقرب من جنين، الذين استغلوا غياب أي سيطرة أمنية على الضفة الغربية لتشكيل معسكر كبير بشكل شبه علني.⁴⁰

سلامة (إعداد وتقديم). "انتفاضة حجر: عبد الفتاح حمایل الجزء الأول". فضائية معاً. بث البرنامج في 10 أيار/ مايو 2016؛ ويمكن متابعته على الرابط: <https://youtu.be/ecfVU1HqVg0>

³⁸ حول نشاط معسكر الهامة في هذه الفترة ينظر: وليم نصار. تغريبة بني فتح. ص 89-96؛ "شهادة الأخ أبو علي شاهين". شهادات عن تاريخ الثورة الفلسطينية، شهادات تاريخية للقادة والكوادر القيادية (الكتاب الثاني). (إعداد وإشراف عام): يحيى يخلف. (رام الله، حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)؛ مكتب الشؤون الفكرية والدراسات، 2009: 153-232). ص 167-168.

³⁹ يخلف. شهادة عبد الحميد القدسي. ص 128؛ ويتحدث أيضًا الأسير المحرر يوم الهزيمة من سجون الأردن سميح أبو كويك عن حالة الفراغ الأمني في "الضفة الشرقية" والتي ساعدت في إدخال السلاح والمتدربين إلى الأردن؛ يقول أبو كويك: "بعد أيام قليلة [من هزيمة حزيران/ يوليو 1967 والخروج من السجن الأردني] كنا نرسل الرسل إلى دمشق كي يزودونا بأكبر قدر من السلاح وأنا نزلت بنفسني، وكان السلاح نمشي فيه بالشارع وكأننا نحمل كتب، لأنه كان النظام مهزومًا وكان الجيش الأردني على غير استعداد ليقف وقفة القمع التي كان يقفها قبل 67""؛ "سميح أبو كويك: حرب ١٩٦٧ والانطلاقة الثانية". مقابلة مصورة نشرت على قناة الثورة الفلسطينية **Learn Palestine**؛ 14 أيلول/ سبتمبر 2016: https://youtu.be/JggXN6T_Ssc

⁴⁰ يخلف. شهادة أبو علي شاهين. ص 202-203.

ساهم كذلك في هذا المسار أسرى حركة القوميين العرب المحررين، رغم اندلاع خلافات بين قيادي التنظيم إثر حملة الاعتقالات التي طالت صفوفه عام 1966.⁴¹ فتشير الشهادات المتوافرة إلى عقد اجتماعات غير منسقة في مناطق مختلفة بمبادرات من الأسرى المحررين،⁴² اتصلت لاحقاً في خيط واحد بعد التواصل مع قيادة التنظيم خارج "الضفة"، لتعيد بعث التنظيم تحت مظلة جديدة "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين" أواخر العام 1967، وتتجه إلى حين في تشكيل بُنى تنظيمية فاعلة ساهمت في إطلاق المقاومة المسلحة ضد الاحتلال.⁴³

أرسى نشاط الأسرى المحررين قواعد أولية، بني عليها لاحقاً من خلال روافد أخرى، أبرزها قرار القيادات الخارجية لقوى الكفاح المسلح "فتح"،⁴⁴ "القوميين العرب"⁴⁵ استغلال حالة الفراغ الأمني في "الضفة" وتأثير الهزيمة لإعادة بعث بناها. فنظمت "فتح" عشرات الدوريات ضمت في صفوفها كوادر دربت في

⁴¹ ينظر حول الخلافات في صفوف قيادات القوميين العرب وأوضاعهم بعد تفكيك التنظيم من الأمن الأردني أواسط عام 1966 شهادة غازي الخليلي في: الخليلي. من أوراق العمر. ص197.

⁴² يتحدث مثلاً غازي الخليلي عن مبادرة قام بها مع عدد من الكوادر في منطقة نابلس لإعادة التنظيم والإتصال بقيادة الحركة في الخارج، والبدء بشكل من أشكال المقاومة الشعبية: الخليلي. من أوراق العمر. ص197-198؛ وينقل أحمد قطامش شهادة لقيادي تاريخي لم يسمه يشير إلى اجتماع ثلاثي لكوادر من حركة القوميين العرب، قرر البدء بلملة القوميين العرب وجمع السلاح من بقايا معسكرات الجيش الأردن، وتعيئة الناس للصمود، ودعوة العسكريين من أبناء الحركة للانخراط في المقاومة الشعبية والاتصال بالخارج. أحمد قطامش. في التنظيم الثوري السري الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في الوطن المحتل نموذجاً حزيران 1967- أوصلو 1993. (إرام الله: [نشر المؤلف]، 2011). ص261؛ وينظر أيضاً: صايغ. رفض الهزيمة. ص15-17؛ 38-48.

⁴³ ينظر شهادة متميزة لإحدى كادرات هذا التنظيم، والتي اعتقلت لمساهمتها في عملية في القدس يوم 22 شباط/ فبراير 1969: عائشة عودة. أحلام بالحرية. (رام الله: مواطن- المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، 2007)؛ وعن ظروف تشكل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين؛ ينظر: صلاح. من ضفاف البحيرة. ص220-224؛ جورج مالبيرينو (حوار). جورج حبش الثوريون لا يموتون أبداً. (بيروت: دار الساقي للطباعة والنشر، 2009). ص71-75.

⁴⁴ يشير القيادي في حركة فتح أبو علي شاهين إلى قرار الحركة بإرسال دوريات إلى داخل الأراضي المحتلة عمومًا لدراسة أوضاعها العامة، وأرسل أبو علي في دورية من خمسة أفراد إلى منطقة الخليل في 16-17 حزيران/ يونيو 1967 استقرت في "الضفة" وخرجت بتقرير واف قدمه أبو علي لقيادة الحركة، وتظهر الشهادة حالة الفراغ الأمني التي كانت تشهدها "الضفة" والتي مكنت المجموعة من فتح باب التدريب لسكان المنطقة الذين بدءوا بالتزايد ليصل المتقدمين إلى المئات. يخلف. شهادة أبو علي شاهين. ص172-173.

⁴⁵ كان توجه قيادة حركة القوميين العرب في الخارج إطلاق حركة مقاومة مسلحة في الضفة الغربية، ولتحقيق ذلك شكلت قيادة خماسية في الأردن مكونة من أبو علي مصطفى (مصطفى الزبري) مسؤول أول، عبد الله العجومي مسؤول عسكري، عزمي الخوaja مسؤول سياسي، عادل سمارة مسؤول تسليح، أحمد خليفة مسؤول عن القدس، أضيف إليهم لاحقاً تيسير قبيعة وأسعد عبد الرحمن. وانتقلت معظم هذه القيادات إلى داخل "الضفة" للمساهمة في إعادة بناء التنظيم والتمهيد لإنطلاقة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وعملاتها. قطامش. في التنظيم الثوري. ص263.

الخارج وسبق تجنيدها في "الضفة"، أو مجموعات طلابية استدعيت إثر الحرب من مواقع التنظيم المختلفة،⁴⁶ أو مجموعات قيادية،⁴⁷ وتشكلت هذه الدوريات في عمومها من أبناء "الضفة"، استعدادًا لانطلاقة "الثانية"⁴⁸ ومن ثم لتأسيس قواعد ارتكاز للكفاح المسلح.

كما نظمت "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين" عددًا آخر من الدوريات للمساهمة في التعبئة والتنظيم وإطلاق المقاومة المسلحة في "الضفة".⁴⁹ بعد حسمها لجدال داخلي -بحضور كادر الضفة الغربية القيادي- دار حول وجهتي نظر، الأولى ترى التريث لاستكمال الاستعدادات وحدث استرخاء في اندفاع قوات العدو وتحفزه لمواجهة المقاومة المتوقعة. والثانية أن المقاومة أصبحت اضطرار حتى قبل أن يتم تحقيق الحد الأدنى الذي لم يكن ممكنًا البدء قبل إتمامه. واتخذ القرار بتبني وجهة النظر الثانية على اعتبار أن المخطط الذي رسم حدًا أدنى لبداية مقبولة لن يتحقق إلا بمباشرة العمل المسلح. وبدون ذلك لن يتم اختبار المقاتلين ولن يكون ممكنًا توفير الأموال ولا تجميع السلاح اللازم. وتعززت وجهة النظر هذه في ظل نجاح كادر

⁴⁶ ينظر كنموذج عن هذه الدوريات دورية "عبد الله الأفرنجي" التي دخلت إلى "الضفة" في 12 آب/ أغسطس 1967 لتشكيل نقاط ارتكاز وعمليات التعبئة، في منطقة جبل الخليل: "يوسف عبد العزيز كايدي: انطلاقة فتح الثانية". مقابلة مصورة نشرت على قناة الثورة الفلسطينية **Learn Palestine**؛ 14 أيلول/ سبتمبر 2016: <https://youtu.be/IF2JkCtuOM>

⁴⁷ أبرز هذه الدوريات الدورية التي دخل فيها ياسر عرفات "الضفة" يوم 26 تموز/ يوليو 1967 والتي ضمت 14 كادرًا، منهم عبد الحميد القدسي، أبو علي شاهين، أبو علي المدني، عمر أبو ليلي (مجاهد)، ودخلت هذه الدورية للإشراف المباشر على استعدادات فتح لانطلاقتها الثانية ليلة 29 آب/ أغسطس بالتزامن مع القمة العربية في الخرطوم: يخلف. شهادة عبد الحميد القدسي. ص 127-152؛ يخلف. شهادة أبو علي شاهين. ص 195-226.

⁴⁸ ينظر حول الانطلاقة الثانية: خليل الوزير. "حركة فتح: البدايات". مجلة الدراسات الفلسطينية. ع. 104. (خريف 2015: 51-130). ص 110-113؛ صلاح خلاف أبو إباد. فلسطيني بلا هوية. تحرير وتصويب: فؤاد أبو حجلة؛ (عمان: دار الجليل للنشر والدراسات، 1996). ص 87-99؛ "محمد أبو ميزر: انطلاقة فتح الثانية". مقابلة مصورة نشرت على قناة الثورة الفلسطينية **Learn Palestine**؛ 16 أيلول/ سبتمبر 2016: https://youtu.be/Q679_DHGEYU؛ "محمد أبو ميزر: العملية السياسية لانطلاقة فتح الثانية". مقابلة مصورة نشرت على قناة الثورة الفلسطينية **Learn Palestine**؛ 16 أيلول/ سبتمبر 2016: <https://youtu.be/e22jN3hFlj8>؛ صايغ. رفض الهزيمة. ص 20-29.

⁴⁹ الخليلي. من أوراق العمر. ص 200-201.

القومين العرب -الجبهة لاحقاً- الذي أشير إليه سابقاً في إعادة التنظيم، وتجهيز كادر مسلح في معظم "الضفة الغربية".⁵⁰

وقامت المجموعات المتشكلة بسلسلة عمليات مبكرة ضد أهداف صهيونية. أحدثت تأثيراً إيجابياً في واقع "الضفة الغربية" وتجاوز الآثار المعنوية السلبية للهزيمة بشكل مبكر.⁵¹ كما كان لها تأثير مركزي في مستقبل القوى السياسية الفلسطينية المقاومة ومنظمة التحرير الفلسطينية؛ فالعمل الفدائي داخل الأراضي المحتلة عزز من شرعية الفصائل الفلسطينية محلياً وعربياً، وكان بذرة أولى نمت في معركة الكرامة (آذار/ مارس 1968) وأثمرت بالاعتراف والدعم الرسمي العربي -المصري خصوصاً- لفصائل المقاومة الفلسطينية، كما الاعتراف والاجماع الفلسطيني عليها واستلامها لدفة منظمة التحرير الفلسطينية (شباط/ فبراير 1969).⁵²

خلاصة القول إن المقاومة الفلسطينية المسلحة التي اندلعت بعد هزيمة حزيران/ يونيو 1967 كانت إحدى نتائج إعادة بعث القوى السياسية في "الضفة الغربية"، التي تحولت بفعل السطوة الأمنية الأردنية إلى أرض جرداء من أي بنى تنظيمية لقوى سياسية فاعلة، سواء القوى الفاعلة في النشاط السياسي العام، أو القوى الفاعلة في مقاومة الاحتلال - قوى الكفاح المسلح- ولم يكن ممكناً إعادة بعث هذه القوى إلا في حال انهيار المنظومة الأمنية في "الضفة"، وهذا ما وفرته هزيمة حزيران/ يونيو 1967 إذ دمرت المنظومة الأمنية

⁵⁰ صلاح. من ضفاف البحيرة. ص216.

⁵¹ ينقل صلاح صلاح تقيماً لكوادر حركة القوميين العرب في "الضفة الغربية" فيشير إلى أن الجماهير رحبت بالعمليات العسكرية التي بدأتها قوات العاصفة والتقت حولها وتحمست لها، لكن كان للشغرات التي ظهرت في ممارسات قوات العاصفة -فقدان الدقة والسرية والمبالغة الإعلامية- تأثير على معنويات الناس المرتفعة: صلاح. من ضفاف البحيرة. ص217.

⁵² بالإضافة لتعزيز شرعية الفصائل الفلسطينية المقاومة فلسطينياً وعربياً، ساهمت هذه المرحلة ومشاركة بعض الشخصيات القيادية فيها في تعزيز شرعيتهم الداخلية، أبرزهم ياسر عرفات الذي صارت مشاركته في عملية إعادة تنظيم "الضفة الغربية"، ودخوله للقتال في الأرض المحتلة، حدثاً مركزياً في تعزيز شرعيته الداخلية، والتمهيد لتصدره في حركة (فتح) وفي منظمة التحرير الفلسطينية؛ ينظر: صايغ. رفض الهزيمة. ص54-66؛ Sayigh, Yezid. "Turning Defeat into Opportunity: The Palestinian Guerrillas after the June 1967 War". *Middle East Journal*, Vol. 46, No. 2 (Spring, 1992: 244-265). pp. 257- 263.

الأردنية، وتركت "الضفة" إلى حين من دون منظومة أمنية تحكم السيطرة عليها، فتوفرت الفرصة للأسرى المحررين وكوادر القوى المختلفة لإعادة تشكيل البنى التنظيمية في "الضفة" بدعم ومساندة قيادتها في الخارج.

وتجدر الإشارة إلى أن القوى التي لم تكن بعد ناشطة في مجال المقاومة المسلحة كحزب البعث والحزب الشيوعي، بدأت أيضاً في إعادة تنظيم صفوفها بعد إطلاق بقية أسراها في السجون الأردنية. ومثلما أخرج النظام الأردني الكادر العسكري وطلب منهم المساعدة في جبهات القتال. كرر الطلب من آخرين. من ذلك مثلاً أنه قبل الإفراج عن القيادي في الحزب الشيوعي الأردني نعيم الأشهب قابله رئيس المخابرات الأردنية محمد رسول الكيلاني يوم 16 حزيران/ يونيو ورجاه التوجه إلى الضفة الغربية، لأن بعض الشخصيات التقليدية تحولت إلى مغازلة إسرائيل. فأجاب الأشهب معبراً عن حال معظم كوادر القوى السياسية في الضفة:

"أليس هؤلاء الذين يلتقون اليوم مع المسؤولين الإسرائيليين من كانوا حتى قبل أيام معدودة الأكثر حظوة وتقديراً عندكم، في حين كان لنا وعلى مدى سنين طويلة السجون والمعتقلات الصحراوية والزنازين الإنفرادية والمطاردة خارج القانون؟ [...] أنا ذاهب بدوافعي الذاتية إلى الأرض المحتلة، لأنني مقتنع ومؤمن أن مكاني الآن هو هناك".⁵³

⁵³ الأشهب، دروب الألم، ص 182-183؛ ويشير الأشهب إلى أنه بعد تسلمه للقدس المحتلة وبدء نشاطه بشهر بدأت مخابرات الاحتلال ملاحقته، ويعلل ذلك بأنهم جمعوا المعلومات عنه من ملفات المخابرات الأردنية التي صادرتها الاحتلال.

وساهم كادر هذه القوى في تأسيس "اللجنة الوطنية" وقيادة المقاومة الشعبية.⁵⁴ لكن لم يكن حضورهم الجديد موازيًا في حجمه وقوة تأثيره لقوى المقاومة المسلحة وعلى رأسها "فتح" التي بدأت بالتجذر مع ازدياد جذوة المقاومة. إذ نجحت الهزيمة بفعل ما لم تستطع فعله ثورة "فتح" عام 1965، وحصدت "فتح" نتيجة انقلابها المبكر على موقف القوى السياسية الأخرى من "إسرائيل" الذي استقر منتصف الخمسينيات على "الانتظار".⁵⁵

خاتمة

سعت هذه الورقة لفحص أحد أوجه تأثير هزيمة حزيران/يونيو 1967 على القوى السياسية وانتشارها التنظيمي في "الضفة الغربية"، إذ إن هذه القوى عاشت ظروفًا استثنائية لم تعيشها فروعها في معظم دول الشتات، وفي بقية فلسطين الخاضعة للسيطرة المصرية، "قطاع غزة"، تمثلت في السطوة الأمنية للنظام الأردني التي فرضت ضد القوى السياسية في عموم المملكة الأردنية، والتي كان عمادها وخزانها الأساسي من "الضفة الغربية".

تبين من خلال العودة إلى مصادر أولية أبرزها نصوص مذكرات وشهادات عن نشاط القوى السياسية الفلسطينية في "الضفة الغربية" قبل وبعد هزيمة حزيران/يونيو مباشرة، أن الهزيمة ساهمت من خلال تفكيكها للبنية الأمنية الأردنية في "الضفة الغربية"، وفي ظل غياب بنية أمنية جديدة تسيطر بفعالية

⁵⁴ نظمي الجعبة؛ رجا الخالدي؛ سليم تماري (محاويرين). "عن النضال في القدس والداخل بعد هزيمة 1967 إبراهيم الدقاق". مجلة الدراسات الفلسطينية، ع. 108. (خريف 2016: 168 - 176). ص172-173؛ الأشهب. دروب الألم، ص186-193.

⁵⁵ يعمل الباحث على إنجاز ورقة تناقش تأثير الهزيمة الفوري على تحول موقف القوى السياسية في "الضفة الغربية" من إسرائيل، من الانتظار -انتظار دولة الوحدة العربية، أو انتظار الدولة الإسلامية- إلى "الكفاح المسلح"؛ وسبق للباحث بحث تحولات موقف القوى السياسية من مقاومة "إسرائيل" وصولًا "للانتظار" خلال الفترة أيار/مايو 1948 - نيسان/أبريل 1957، في أطروحة قدمت لنيل شهادة الماجستير في التاريخ من جامعة بيرزيت، وستصدر قريبًا بعد تحريرها وتقييها في كتاب.

على "الضفة الغربية" خلال الشهور الأولى التالية للهزيمة، في إعادة البناء السريع للبنى التنظيمية للقوى المختلفة، وعلى رأسها قوى "الكفاح المسلح".

وبرز في مرحلة إعادة البناء هذه الدور الكبير للأسرى المحررين من السجون الأردنية أول أيام الهزيمة، الذين بادروا للتوجه لـ "الضفة الغربية" وبدأوا بالسعي لإعادة ترميم الهياكل التنظيمية، بالتوازي مع مبادرات من قيادات هذه القوى في الخارج لدعم "الضفة الغربية" بالكوادر التنظيمية اللازمة لإعادة البناء، وصولاً لإطلاق المقاومة المسلحة المنظمة ضد الاحتلال، والتي نشطت بقوة في شهور الاحتلال الأولى، إلى أن استطاع الاحتلال ترسيخ سيطرته الأمنية على "الضفة الغربية"، مستغلاً العديد من الثغرات التي حصلت في مرحلة إعادة البناء، وظروف القوى السياسية الفلسطينية في الخارج خصوصاً خروجها من الأردن بعد هزيمة أيلول/سبتمبر 1970.

ختاماً لا بد من الإشارة إلى أن واقع "الضفة الغربية" الأمني قبل هزيمة حزيران/يونيو، وواقع الاضطهاد على القوى السياسية المختلفة -خصوصاً المسلحة- كان يتشابه مع أماكن التواجد الفلسطيني الأخرى، ويلخص صلاح صلاح المتواجد في مخيمات لبنان هذا الواقع والتغيير الجذري الذي حصل بفعل الهزيمة فيقول:

"حالة الإرباك العربي الرسمي بعد "النكسة" أتاحت للحركة [القوميين

العرب] تسريع وتيرة عملها العسكري ودائرته بشكل متزامن. في ظل الإنهيار

الرسمي العربي انكشف الطريق أمام الذين كانوا يتهيأون سراً للكفاح المسلح.

المطاردة تراجعت والاعتقال توقف، والتعذيب لن يكون عملاً عقابياً في ظل

الظروف المشحونة بالتأثر والهزيمة، والسلاح الذي يمكن اللجوء إليه بات من

دون حساب لعواقب وخيمة، والعالم العربي، والدول المحيطة بالكياني

الإسرائيلي، تعاني آثار هزيمة مروعة".⁵⁶

وبهذا فهزيمة حزيران/ يونيو كانت للقوى السياسية الفلسطينية، وللکفاح الفلسطيني المسلح حقنة حياة.

⁵⁶ صلاح. من ضفاف البحيرة. ص 177.